بسم الله الرحمن الرحيم

«مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًىٰ فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا».٨ صفر ١٤٤٢ هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ مَغْرُوسٌ فِي النُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ، وَالْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَاقِفًا عَلَىٰ الْحَزْوَرَةِ، فَقَالَ: «وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَىٰ اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ».

عَبَادَ اللهِ: إِنَّ حِرَاسَةَ الْأَوْطَانِ مِنْ دُعَاةِ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ (مِنْ دُعَاةِ الثَّوَرَاتِ، وَالِاعْتِصَامَاتِ، وَالْمُظَاهَرَاتِ) وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ؛ حَيْثُ إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُحَاوِلُ اسْتِنْفَارَ النَّاسِ، وَإِشْعَالَ فِتْنَةِ الْخُرُوجِ عَلَىٰ وُلَاةِ الْأَمْرِ؛ بِسَبَبِ غَلَاءِ الْأَسْعَارِ تَارَةً، وَبِسَبَبِ أُمُورٍ يَرَاهَا وُلَاةُ الْأَمْرِ لَا تَرُوقُ لِهَؤُلَاءِ تَارَةً أُخْرَىٰ. وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ»: أَنَّهُ قِيلَ لِأَبِي حَازِمٍ سَلَمَةَ بْنِ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللهُ: يَا أَبَا حَازِمٍ، أَمَا تَرَىٰ قَدْ غَلَا السِّعْرُ؟ فَقَالَ: وَمَا يَغُمُّكُمْ مِنْ ذَلِكَ؟ إِنَّ الَّذِي يَرْزُقُنَا فِي الرُّخْصِ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُنَا فِي الْغَلَاءِ.

يَا هَؤُلَاءِ: أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ الثَّقَفِيَّ كَانَ سَفَّاحًا سَفَّاكًا لِلدِّمَاءِ، قَالَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «سُنَنِهِ»: أَحْصَوْا مَا قَتَلَ الْحَجَّاجُ صَبْرًا، فَبَلَغَ مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ. وَمَعَ ذَلِكَ يَأْتِي النَّاسُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَشْكُونَ لَهُ مَا يَلْقَونَ مِنَ الْحَجَّاجِ، فَيَأْمُرُهُمْ بِالصَّبْرِ،

وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالْخُرُوجِ عَلَىٰ الْحَجَّاجِ، وَلَا تَكْفِيرِهِ، كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ السُّفَهَاءِ الْيَوْمَ، مَعَ أَنَّهُ قَتَلَ مِائَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا صَبْرًا.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَىٰ مِنَ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّىٰ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ». سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ.

هَكَذَا يُوصِيهِمْ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ نَالَهُمْ سَيْفُ الْحَجَّاجِ، فَهَلْ كَانَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَلْبِيًّا؟، وَهَلْ كَانَ انْبِطَاحِيًّا، كَمَا يَقُولُونَ؟!.

لَقَدْ تَرَبَّىٰ أَنَسٌ وَغَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَىٰ الصَّبْرِ عَلَىٰ جَوْرِ الْأَئِمَّةِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»: قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ: الْمُرَادُ بِالْمُفَارَقَةِ: السَّعْيُ فِي حَلِّ عَقْدِ الْبَيْعَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لِذَلِكَ الْأَمِيرِ، وَلَوْ بِأَدْنَىٰ شَيْءٍ، فَكُنِّيَ عَنْهَا بِمِقْدَارِ الشِّبْرِ؛ لِأَنَّ الْأَخْذَ فِي ذَلِكَ يَؤُولُ إِلَىٰ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ .. قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: فِي الْحَدِيثِ حُجَّةٌ فِي تَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَىٰ السُّلْطَانِ وَلَوْ جَارَ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ عَلَىٰ وُجُوبِ طَاعَةِ السُّلْطَانِ الْمُتَغَلِّبِ، وَالْجِهَادِ مَعَهُ، وَأَنَّ طَاعَتَهُ خَيْرٌ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ وَتَسْكِينِ الدَّهْمَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: احْذَرُوا حَرْبَ الْإِشَاعَاتِ الَّتِي يَشُنُّهَا الْأَعْدَاءُ مِنَ الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ؛ فَإِنَّ خَطَرَهَا عَظِيمٌ، وَبَلَاءَهَا جَسِيمٌ عَلَىٰ أَمْنِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ.

فَالْأَمْنُ مِنْ أَعْظَمِ آلَاءِ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ﴾.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، وَقَالَ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

فَإِبْرَاهِيمُ طَلَبَ فِي الْآيَةِ الْأُولَىٰ تَحْقِيقَ الْأَمْنِ؛ حَتَّىٰ يَتَحَقَّقَ لَهُ عِبَادَةُ اللهِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الصَّحِيحِ، فَقَالَ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي حَالِ الْفِتْنَةِ وَالْقَلَاقِلِ يَشْغَلُهُ الْخَوْفُ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرُبَّمَا زَاغَ عَنِ الْحَقِّ.

وَفِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ طَلَبَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام تَحْقِيقَ الْأَمْنِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾؛ لِأَنَّ بَلَدًا لَا أَمْنَ فِيهِ كَيْفَ تَسْتَقِيمُ لِلنَّاسِ فِيهِ أَرْزَاقُهُمْ؟! وَمَنْ نَظَرَ إِلَىٰ الْوَاقِعِ حَوْلَهُ رَأَىٰ ذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَلَكِنْ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رحمه الله:

وَلَرُبَّمَا جَهِلَ الْفَتَىٰ طُرُقَ الْهُدَىٰ ... وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَهَا أَنْوَارُ

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْأَمْنَ إِذَا عَمَّ الْبِلَادَ، وَأَلْقَىٰ بِظِلِّهِ عَلَىٰ النَّاسِ، عَمَّتِ الطَّمَأْنِينَةُ النُّفُوسَ، وَسَادَهَا الْهُدُوءُ، وَغَمَرَتِ السَّعَادَةُ الْقُلُوبَ، وَكَمَا قِيلَ:

إِذَا اجْتَمَعَ الْإِسْلَامُ وَالْقُوتُ لِلْفَتَىٰ ... وَأَضْحَىٰ صَحِيحًا جِسْمُهُ وَهْوَ فِي أَمْنِ

فَقَدْ مَلَكَ الدُّنْيَا جَمِيعًا وَحَازَهَا ... وَحَقٌّ عَلَيْهِ الشُّكْرُ لِلَّهِ ذِي الْمَنِّ